

نظام القيم السياسية في المشروع الفكري لعبد الوهاب المسيري إسماعيل حمودي

(طالب دكتوراه في العلوم السياسية/ جامعة محمد الخامس السويسي - كلية الحقوق - سلا)

smailhamoudi@gmail.com

مقدمة

لكل نظام قيم مرجعية نهائية تحدد مضمونه بالضرورة، ولأن القيم تحكم السلوك الفردي والجماعي، فإنها تفترض وجود مؤسسات مادية أو رمزية تعكس تلك القيم وتعبّر عنها داخل جماعة سياسية معينة وأمام غيرها من الجماعات. هذه الثلاثية (المرجعية والقيم والمؤسسات) تتفاعل عبر التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لأمة من الأمم، وهو تفاعل ينتج عنه ما يسمى بـ "المدرجات السياسية الجماعية"، التي تميز أمة أو حضارة مخصوصة عن غيرها من الحضارات الأخرى.

تطلق المدرجات السياسية الجماعية إذن على مجموع "المبادئ المرجعية" التي تُوجه وتميّز السلوك الإنساني، وترتفع به من مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة، ومن مستوى اللحظة إلى مستوى التاريخ، حيث الحاضر ما هو إلا اللحظة التي تربط بين الماضي والمستقبل. إن المبادئ المرجعية بهذا التحديد هي التي تمنح الفعل الإنساني، فرديا كان أم جماعيا، المعنى والانسجام، بوصفه فعلا محكوما بقواعد لها صفة الإلزام المعنوي في الجماعة، هي مُحصلة تاريخية للخبرة والحياة الجماعية الممتدة، وبغايات تحدد الوظيفة الحضارية للجماعة، مما يحقق وحدتها وتآلفها وتماسكها على الصعيد الداخلي، ويمنحها العزة والقوة والاستعلاء الإيماني أمام غيرها من الأمم¹.

إن تحقيق أمة لآمالها داخليا، وعزّها خارجيا، دليل على "انتظام المفاهيم المرجعية والقيم السياسية للجماعة في نسق فكري يميّز مدرجاتها السياسية وتتميز به الجماعة عن غيرها من الجماعات". هذا الانتظام يتحقق عبر التطور التاريخي المشترك والممتد عبر أجيال متلاحقة من الناس، وهو علامة على أنها جماعة "مكتملة التكوين"، ومستقرة لا تشكو من انقسام أو نقص، وهو ما يساعدها على تحديد مضمون وظيفتها الحضارية².

وتؤدي المرجعية دورا حاسما في تحديد المدرجات السياسية لجماعة معينة، باعتبارها "الفكرة الجوهرية" التي تشكل أساس كل الأفكار في نموذج حضاري معين، أو في منظومة فكرية محددة. فهي "تمارس تأثيرا حاسما في تحديد مفردات القيم السياسية التي ينتظمها نسق مدرجاتها السياسية، وأيضا في تحديد طبيعة العلاقات بين مفردات النسق". وهو تأثير "يكون حاسما في تحديد القيمة الجماعية التاريخية الكلية المطلقة في نسق المدرجات السياسية للجماعة، أي تلك القيمة التي تتحدد بها الأهداف الجزئية لحركة المجتمع الحضارية"، والتي

1- سعيد خالد الحسن: مدخل تمهيدي لدراسة نظرية القيم السياسية (نسق المدرجات السياسية الجماعية). الرباط، كتاب غير منشور، 2010م، ص 5.

2- سعيد خالد الحسن: مرجع سابق، ص 5.

على الجماعة أن تسعى لتحقيقها بوصفها المثل الأعلى لها. وتعد الديمقراطية القيمة الجماعية العليا في الفقه الغربي، في حين تجعل الخبرة الإسلامية من التوحيد القيمة الجماعية التي بها تتشكل بقية القيم³.

غير أن كل قيمة جماعية عليا لا تكتسب كل دلالتها، في نسق المدركات السياسية، إلا بعد ترجمتها إلى أهداف جزئية تعبر في ذاتها عن أهداف فردية، بمعنى ترجمة القيمة الجماعية إلى نسق من القيم السياسية الفردية، على الجماعة أن تعمل لتحقيقها، كما أن وظيفة القيم السياسية الفردية تكمن في التعبير عن القيمة الجماعية في مستوياتها الجزئية، وهي عديدة يصعب حصرها، ولكن يمكن تصنيفها إلى قيم "تقييمية"، وأخرى "نظامية"، وثالثة "وصفية"؛ وذلك تبعاً للوظائف التي تضطلع بها⁴. وتتميز القيم الفردية بكونها تصاعدية، إذ على رأس القيم السياسية الفردية، تأتي القيمة الفردية العليا، التي تضطلع بمهمة تحديد وظيفة النظام السياسي في علاقته بالفرد في الجماعة، وتحدد الوظيفة الحضارية للوجود السياسي لهذه الأخيرة، وتساهم الخبرة التاريخية وما تمر به الجماعة من مواقف وما تعرفه من تقاليد، في تبني إحدى القيم السياسية الفردية. فالغرب مثلاً، يجعل من الحرية القيمة السياسية الفردية العليا. في حين تعلّي الخبرة العربية الإسلامية من قيمة العدالة وتعتبرها القيمة السياسية الفردية العليا، وبقية القيم تابعة لها محكومة بها.

ترمي إشكالية هذه الدراسة إذن إلى كشف منظومة القيم السياسية عند عبد الوهاب المسيري، من خلال مسيرته الفكرية وسيرته الذاتية، وهو ما يعني البحث عن المرجعية الفكرية التي ينطلق منها، والقيم التي يدافع عنها، والمؤسسات التي يتصورها لتصريف تلك القيم، فردية كانت أم جماعية. إن اكتشاف منظومة القيم تلك، تعد صعبة لأن المسيري ليس عالم سياسة، وهو ما جعله غير مهتم بالمؤسسات السياسية، بل بالمرجعيات المعرفية والفلسفية أكثر من غيرها. وهي تزداد صعوبة حين نعرف أن فكر المسيري يتراوح بين ثنائية التفكيك والبناء؛ تفكيك النموذج المادي الطبيعي، كما يجسده العالم الغربي الحديث، ومحاولة اكتشاف وبناء نموذج عربي إسلامي بديل.

انطلاقاً مما سبق نقترح معالجة هذه الإشكالية من خلال الثنائية المذكورة، أي التفكيك والبناء، حتى يتسنى لنا اكتشاف منظومة القيم المادية كما يعكسها نموذج المدركات السياسية الجماعية للغرب، ونموذجه المعرفي المادي المرتكز على المرجعية التطبيعية، وثانياً اكتشاف معالم منظومة القيم البديلة في فكر المسيري، كما تعكسها المدركات السياسية الجماعية للأمة العربية، ويمثلها النموذج المعرفي الإسلامي المرتكز على المرجعية التوحيدية.

1. المرجعية المادية/التطبيقية

يرتكز النموذج الحضاري الغربي المسيطر في عالم اليوم على المرجعية المادية التطبيقية، وهذه الأخيرة ترى في الطبيعة/المادة المرجعية النهائية لتفسير الأشياء والظواهر، بما في ذلك الظاهرة الإنسانية، والركيزة المعرفية لها "كامنة" في العالم الطبيعي، وكذلك معنى الأشياء وغايتها، من هنا فهي تعرف بمختلف تنوعاتها، — من وثنية وهيومانية وحلولية بروتستانتية وداروينية وغيرها — ، صراعاً حاداً بين

3- ، سعيد خالد الحسن: *مدخل تمهيدى لدراسة نظرية القيم السياسية* (نسق المدركات السياسية الجماعية). الرباط، كتاب غير منشور 2010م. ص7.

4- سعيد خالد الحسن. المرجع السابق، ص9.

المبدأ الذي يحكمها وبين الذات الإنسانية، ينتهي تحليليا وتاريخيا إلى أحادية تطبيعية تهيمن على الذات الإنسانية، التي تصبح جزء لا يتجزأ من عالم الطبيعة/ المادة⁵.

ووفق المسيري فإن النموذج المعرفي الغربي الحديث هو نموذج عقلاني نفعي مادي، مرجعيته تكمن في الطبيعة/المادة، وهي في تصور الفلسفة المادية "نظام يتحرك بلا هدف أو غاية، نظام واحد مغلق مكثف بذاته، توجد مقومات حياته وحركته داخله، يحوي داخله ما يلزم لفهمه"⁶، وهو نموذج كامن وراء معظم المعارف والعلوم والمواقف، فهو يتبدى في مفاهيم ومصطلحات هذه العلوم ومسلماها ومناهجها وتفصيلها وإجراءاتها. وهذا النموذج هو الأكثر شيوعا وسطوة اليوم، بفضل الاستعمار الغربي، الذي قام بهزيمة العالم واقتسامه، وتداول نموذج وفرضه على الكثير من المجتمعات.

إن ارتكاز النموذج المعرفي الغربي على الط. *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. القاهرة، دار الشروق، 2005م بيعة/ المادة مرجعية له، معناه أن مركز الكون كامن فيه وليس متجاوزا له. وهذا إلغاء لفكرة الإله، فهو إما غير موجود أساسا، أو أنه موجود ولا علاقة له بالمنظومات المعرفية والأخلاقية والدلالية والجمالية. هذه الأخيرة يتم تفسيرها وتطويرها بالعودة إلى العالم المادي وحده⁷.

وتتميز المنظومة المادية بتأكيداتها على أن العالم نسق كلي طبيعي مادي متماسك، وفي حالة حركة دائمة مستمرة. ويتسم بالسببية الصلبة الكاملة، بمعنى أن كل شيء له سبب مادي وأن نفس الظروف تؤدي إلى نفس النتيجة⁸.

هذه الرؤية تنسحب عند المسيري على رؤية هذا النموذج للإنسان، الذي يصبح الإنسان/ المادة، بحيث يساوي بين الإنسان والطبيعة، ويساوي بين العقل الإنساني والطبيعة المادية، وهو ما يجعل هذا العقل يذعن للطبيعة في نهاية الأمر، إلى أن تصبح مهمته الوحيدة رصد الطبيعة ومعرفة مسارها وقوانينها لطبقها على الإنسان. هذه العقلانية المادية هي التي عبرت عن نفسها في مقدرة العقل على التجريب، ثم انفصلت الزعة التجريبية عن العقل، وتركته وحيدا يلهث وراء التجريب المنفصل عن القيمة، يتلقف نتائجه دون تساؤل عن المعنى والغاية⁹.

والعقل المادي يوجد داخل حيز التجربة المادية لا يمكنه تجاوزها، يسري عليه ما يسري على الطبيعة من قوانين، فهو أداة طبيعية. وهو عقل محايد لا علاقة له بالأخلاق أو بالأسئلة الكلية أو بالمقدس أو بما يتجاوز عالم الحواس. ولذلك فهو لا يفرز سوى ما يسمى "منطق الأمر الواقع" أو "موازين القوة". ومن هنا فهو عقل معاد للتاريخ، لأن التاريخ بنية غير طبيعية غير مادية تتسم بالتنوع والتركيب والإبهام، يمكن لهذا العقل أن يتعامل معها بكفاءة؛ فهو يجيد اختزال الواقع المركب إلى قوانين عامة تؤكد التماثل والعمومية. فالعقل المادي هو عقل عنصري إمبريالي لأنه لا يجيد سوى اختزال الواقع بهدف توظيفه¹⁰.

5- سعيد خالد الحسن: *مدخل تمهيدى لدراسة نظرية القيم السياسية* (نسق المدرجات السياسية الجماعية). الرباط، كتاب غير منشور 2010م. ص 47.

6- عبد الوهاب المسيري: *العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة* (الجزء 2). القاهرة، دار الشروق، 2002م، ص 458. ط 1.

7- عبد الوهاب المسيري: *العالم من منظور غربي*. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، سلسلة دار الهلال، ع 602، 2001م، ص 123.

8- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 123.

9- عبد الوهاب المسيري. *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. القاهرة، دار الشروق، 2005م، ص 206. ط 1.

10- عبد الوهاب المسيري. *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. القاهرة، دار الشروق، 2005م، ص 207. ط 1.

من هنا مفهوم الترشيده، أي توظيف الوسائل بأحسن السبل في خدمة الغايات، لكن في إطار عقلانية الوسائل لا عقلانية الغايات. والترشيده بهذا المعنى هدفه في إطار النموذج المادي إعادة صياغة المجتمع الإنساني عن طريق تفكيكه وإعادة تركيبه ليتوافق مع معطيات العقل المادي. وهو ما يؤدي إلى ضمور الترشيده الإنساني، واستبعاد الأخلاق والدين، وكل العناصر المركبة والغامضة والخفوفة بالأسرار، بشكل تدريجي ومتصاعد حتى تهيم الواحدية المادية. ويتحول الواقع إلى مادة استعمالية، ويتحول الإنسان إلى كائن وظيفي أحادي البعد. وما العولمة غير تصاعد معدلات الترشيده المادي على مستوى العالم. بحيث يصبح العالم كله مادة استعمالية؛ مجرد سوق ضخمة¹¹.

وتعد الحضارة الغربية الحديثة التعبير البارز عن النموذج العقلاني المادي، فإنجازاتها الضخمة (في التكنولوجيا/ العلم/ السيطرة على العالم) هي نتاج رؤيتها المادية. التي مكنتها من استبعاد العناصر الأخلاقية والإنسانية، وذلك لتبسيط الواقع بهدف التحكم فيه. ولكن إخفاقاتها التي لا تقل ضخامة (الأزمة البيئية/ الحروب العالمية/ ظهور العثية والعدمية) هي أيضا نتاج رؤيتها المادية¹².

وعادة ما نجد أن الإيمان بقيمها هو في جوهره إيمان بكفاءة النموذج المادي (في تحليلاته المختلفة: الليبرالية الفردية أو الفاشية الشمولية أو الاشتراكية الجماعية أو البرجماتية أو النيتشوية الداروينية) في تفسير الواقع وتحريكه. وتبني هذا النموذج يعني في واقع الأمر تبني النموذج الغربي. ويؤكد المسيري أن النموذج المادي ينطوي على نمطية مذهلة في أشكال الحياة وفي الأنماط الإنسانية. إلى حد جرّ الحياة الخاصة إلى الحياة العامة، وكسر كل خصوصية أو قدسية لها. بل يتم توظيف الحياة الخاصة لخدمة المصلحة العامة، من أجل مسيرة الإنتاج والعمل¹³.

إن الظاهرة الإنسانية وفق هذا المنظور، قد تختلف في درجة تركيبيتها عن الظواهر الطبيعية، ولكنها في نهاية الأمر يمكن ردها إلى نفس القوانين المادية التي تحكم الطبيعة، معنى هذا أن الإنسان يرد إلى النظام الطبيعي المادي ويصبح جزء منه، فهو إنسان طبيعي مادي محكوم بالطبيعة وقوانينها، وليس له هدف أو إرادة إنسانية مستقلة عن الطبيعة وقوانينها. وبالرغم من ظهور الفلسفة الإنسانية الهيومانية التي جعلت من الإنسان مركزا للكون، فإن الفلاسفة الماديين سرعان ما أعلن بعضهم أن الإنسان إن هو إلا آلة، وبالتالي إمكانية تفكيكه وإعادة تركيبه حتى يتسق مع منطق المادة وقوانين الطبيعة¹⁴.

II. القيم السياسية الجماعية والفردية

تشكل القيم المرتكز الثاني في المدركات السياسية الجماعية وفق نظرية القيم السياسية، على أن هاته القيم تتميز بين تلك التي تحكم الجماعة ككل، وتحدد وظيفتها الكلية وغايتها الخالدة، وبين القيم التي تحكم الأهداف الجزئية للأفراد. فالقيمة الجماعية العليا تشكل الهدف التاريخي والوظيفة الحضارية لأمة محددة، مما يجعلها تتصف بالعموم والتجريد والإطلاق، فهي ليست غايات مباشرة بل مثاليات تسيطر على حركة الجماعة السياسية وتوجهها نحو هدفها الأسمى، الكلي والثابت. وإذا كانت القيمة الجماعية العليا هي التي تتحدد بها

11- عبد الوهاب المسيري: *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. ص 208.

12- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 185.

13- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 186.

14- عبد الوهاب المسيري: *العالم من منظور غربي*. ص 126.

الأهداف الجزئية للجماعة السياسية، فإنها تتحدد هي بدورها بالتأثير الذي تمارسه المرجعية النهائية، كما سبقت الإشارة. فالقيم السياسية هي إطار فكري إذن يحكم الأهداف المباشرة للحركة السياسية، كما أنها الباعث على تحديد الأداة التنظيمية أو المؤسسية، وتمنح الشرعية والمشروعية لكل حركة تنطلق باتجاه الهدف الأعلى للجماعة¹⁵.

غير أن القيمة الجماعية لا تكتمل من حيث بناءها في نسق محدد للمدركات السياسية للجماعة، إلا بترجمتها إلى أهداف جزئية تعبر عن نسق من القيم السياسية الفردية التي يناط بها تحديد المثل الأعلى الذي يسعى الفرد إليه، وعلى النظام السياسي للجماعة تحقيق تلك الأهداف والمثل لأفرادها، بمعنى أن وظيفة القيم السياسية الفردية تكمن في التعبير عن "القيمة الجماعية" في مستوياتها الجزئية. على أن ما يميز نسق المدركات السياسية عن بعضها البعض هو الترتيب التصاعدي للقيم، وتسهم الخبرة التاريخية والحضارية للجماعة في تبني إحدى القيم السياسية، وتجعلها في مركز حزمة القيم الفردية، وبها يتحدد مضمون غيرها من القيم¹⁶.

1- القيمة الجماعية العليا: الديمقراطية

وفق نظرية القيم السياسية فإن القيمة الجماعية العليا في الفقه الأوربي الغربي، هي قيمة الديمقراطية في نسق مدركاته السياسية منذ الثورة الفرنسية، وتُعرف الديمقراطية بحسب المسيري بأنها نظام سياسي يوفر فرصة المشاركة لكل أعضاء المجتمع الذين لهم حق التصويت واتخاذ القرارات. وهي أيضا نسق سياسي قائم على مبادئ ممارسة الحكم من خلال موافقة المحكومين، لأن الحكومة تستمد شرعيتها من إرادة غالبية أعضاء المجتمع. ومن الشروط التي ينبغي توافرها في الديمقراطية النيابية الحقيقية، الانتخابات الحرة، وسرية التصويت، كما تقتضي الديمقراطية السياسية المساواة أمام القانون، وحرية الكلمة، والتعبير والنشر والاجتماع، وهي تقوم على المنافسة الحرة، وتوازن جماعات المصلحة¹⁷.

غير أن المسيري يميز في هذا السياق، بين ما يسميه "النموذج الفعال"، وبين ما يطبق بالفعل في الواقع، الذي هو مختلف بشكل جوهري عن المثل الأعلى؛ فالمواطن الأمريكي، على سبيل المثال الذي ينتخب، لا يعرف شيئا عن علاقة الاقتصاد بالسياسة، وعن آليات الاستغلال الاقتصادي، وهو جاهل تماما بما يجري في العالم. المشكلة الرئيسية عنده هي إشباع تطلعاته الاقتصادية والمادية، ونزعاته الاستهلاكية¹⁸.

وفي الحالتين، تواجه الديمقراطية مشكلة على مستوى التطبيق تتمثل في المرجعية النهائية لها، أي مجموعة القيم التي تحكم الإجراءات الديمقراطية ذاتها. لأن التجربة تؤكد مثلا أن 51% من الأصوات قد تقرر القانون والحقيقة والقيمة. ومن ثم فهي ديمقراطية بلا مرجعية فلسفية أو أخلاقية أو معرفية، مما يجعلها منفصلة عن القيمة، تماما كالعلم وحرية التعبير المطلقة¹⁹.

15- سعيد خالد الحسن : مدخل تمهيدي لدراسة نظرية القيم السياسية (نسق المدركات السياسية الجماعية). الرباط، كتاب غير منشور 2010م، ص 8.

16- سعيد خالد الحسن. المرجع السابق. ص 8.

17- عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية. ص 228.

18- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 228.

19- عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والفمار. القاهرة، دار الشروق، 2005م، ص 230، ط 1.

انطلاقاً من تلك النتيجة، يدعو المسيري إلى إعادة تعريف الديمقراطية بأنها نظام سياسي يعطي صوتاً واحداً لكل مواطن شريطة توفير المعلومات الكاملة له، كما يجب أن تدار المعركة الانتخابية بطريقة ديمقراطية، بحيث تتاح مساحة زمنية متساوية في وسائل الإعلام لكل المرشحين، ويجب أن يوضع سقف عام لما يمكن للمرشح الواحد أن ينفقه، سواء في شراء الإعلانات في التلفزيون أو في إدارة حملته الانتخابية²⁰.

ويؤكد المسيري على ضرورة تقليص أظافر الدولة وبيروقراطيتها، وذلك عن طريق زيادة فاعلية وقوة مؤسسات المجتمع المدني والنيابات وكل المؤسسات والتنظيمات غير الحكومية، والتي تعبر عن مصالح ومطامع الجماعات المختلفة في الوطن الواحد. وأن تكون مرجعية النظم الديمقراطية هي القيم الإنسانية العامة متمثلة في ميثاق هيئة الأمم المتحدة والمواثيق الدولية، وهي قيم غير خاضعة للتصويت أو لعد الأصابع²¹.

2- القيمة الفردية العليا: التعاقد

تميز قيمة التعاقد المجتمع الغربي الحديث، خاصة الأمريكي منه، عن بقية المجتمعات، خاصة التقليدية منها، ويقوم جوهر التعاقد- عند المسيري- على فلسفة الصراع والتنافس بين الأفراد والمؤسسات، وهي قيمة لا تعترف بأي مكان للرحمة وقيم المحبة التي تميز المجتمع التقليدي، بل كل شيء بمقابل مادي، وهذه الفلسفة اخترقت أصغر الوحدات الاجتماعية مثل الأسرة، كما طبعت أكبر تلك المؤسسات مثل الدولة، حيث لا مكان لأي علاقات تراحمية في أي منهما²². والتعاقد لا يتوقف عند الحياة العامة للمجتمع، بل يتغلغل في الحياة الخاصة للأفراد، سواء داخل الأسرة، أو في علاقة الفرد مع شركات التأمين، فالزوج لا يمكن أن يتحمل زوجه إذا كانت مريضة وغير مؤمن عليها، حيث تعمل شركات التأمين على تعميق الاتجاه التعاقدي، تحت غطاء حقوق الإنسان، والتحديد الدقيق للحقوق والواجبات. ويذهب هذا التصور إلى أن أي مجتمع لا يمكن أن تقوم له قائمة، إذا لم تحترم فيه مقتضيات التعاقد. مما يعنيه من تحديد دقيق للواجبات والحقوق²³.

غير أن المسيري ينبه إلى أن تغلغل قيم التعاقد وهيمنتها لا يعني أنها اكتسحت كل جيوب المجتمع الأمريكي، لأن ثمة جيوب تراحمية لا يمكن أن تنتفي أو تموت. إن انتشار العبادات الجديدة وسط المجتمع تشكل ثورة ورفضاً للنموذج التعاقدي، وهي ضد هيمنة المجتمع التعاقدي الحديث، مجتمع الترشيح والحوسلة والحداثة المادية، كما تؤكد في الأخير على أن حياة الأفراد أكثر تركيبياً وأكثر إنسانية من النموذج الإدراكي الحاكم، حتى لو تم استبطانه، لأن الإنسان يحب ويكره بفطرته²⁴.

20- عبد الوهاب المسيري: *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*، ص 231.

21- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 232.

22- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 65.

23- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 68.

24- عبد الوهاب المسيري: *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. القاهرة، دار الشروق، 2005م. ص 71.

ويتميز المجتمع الحديث التعاقدى بوحده الكبرى، ولذا فإدارة تلك المؤسسات تتطلب معايير غير شخصية ومقاييس غمطية وعقود واضحة، على خلاف المجتمع التراخي الذي يتميز بوحده الصغرى. ويدار المجتمع التعاقدى من قبل مؤسسة الدولة، التي تعد من أهم آليات الترشيح المادي.

ويتصور المسيري أن ثمة صراع بين نموذجين في الفكر الاستناري الأوربي هما: النموذج المتمركز حول الإنسان، والنموذج المتمركز حول الطبيعة/المادة، حول مفهوم الفرد والدولة، فالفكر الاستناري يبدأ من الإيمان المطلق بمقدرات الإنسان الطبيعي الكامنة فيه، فهو كائن اجتماعي بطبعه، وهو بسبب عقله الراجح وغرائزه السليمة قادر على تأسيس نظم سياسية رشيدة، تستند إلى العقل والتجربة وتسود فيها قيم التسامح والتعددية²⁵.

وانطلاقاً من الرؤية الطبيعية التعاقدية، ومن الإيمان بالقانون الطبيعي، وبمقدرات الإنسان الطبيعي، أكد المستنيرون على ضرورة فصل الدين عن الدولة، ثم عن رقعة الحياة العامة التي يمارس فيها المواطن حقوقه وحرياته، والتي يحتكم فيها إلى عقله وحسب، أي التمركز حول الذات²⁶.

أما النموذج المتمركز حول الطبيعة/المادة، فالدولة العلمانية تعبر عن فكرة القانون الطبيعي وتستمد شرعيتها منه، وهي غير خاضعة لأي مطلق ديني أو أخلاقي أو إنساني خارج عنها، بل إنها منفصلة عن أية أهداف أخلاقية أو أغراض إلهية، فسيادتها هي المطلق الوحيد الأسمى. والدولة مثل الطبيعة كل شامل متصل لا تتخلله ثغرات أو فراغات. وبهذا أصبحت الدولة هي المرجعية الأخلاقية والفلسفية والسياسية النهائية للإنسان الغربي²⁷.

هذا المفهوم جد متحيز، بل هو من التحيزات الكبرى النابعة من النموذج المعرفي الغربي؛ أي التحيز لمفهوم الدولة القومية العلمانية المركزية. وهذا التحيز مرتبط بمفاهيم الترشيح والتقدم والتحكم المعرفي ووحدة العلوم. فمع الإيمان بوحدة العلوم، ساد الاعتقاد بمقدرة العلم على قيادة المجتمعات وترشيدها، وبأن الدولة هي الآلية الكبرى لتحقيق ذلك، عن طريق وضع الخطط الشاملة وتشبيد البنية التحتية اللازمة لتوحيد الواقع وتنميته واختزاله. ففي المجال المادي يتم توحيد السوق، أما في المجال البشري فيتم تأسيس بيروقراطيات مركزية متخصصة حديثة، توجه الفرد حتى يصبح مواطناً يتخلى عن كل ولاءاته القيمية، ولا يدين بالولاء إلا للدولة²⁸.

إن الدولة وفق هذا النموذج تفضل دائماً التعامل مع الوحدات الضخمة بدلاً من الوحدات الصغيرة مثل الأسرة والجماعة. وهي تتعامل مع الإنسان فيما يسمى رقعة الحياة العامة. ولذا فهي تتحيز للخارج على حساب الداخل. وللتعاقد على حساب التآلف، والحياة العامة على حساب الحياة الخاصة. والوحدة التحليلية التي تتعامل معها هي الفرد (المواطن/الإنسان الطبيعي)، وهو فرد يوجد خارج أي مؤسسات وسيطة. وعزلته عن المؤسسات يوقعه في قبضة الدولة ومؤسساتها²⁹.

25- عبد الوهاب المسيري. **فكر الاستنارة وتناقضاته**. القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص 39، ط1.

26- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 40.

27- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 40.

28- عبد الوهاب المسيري. **العالم من منظور غربي**. ص 160.

29- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 162.

III. المرجعية التزيهية (التوحيدية)

تتميز المرجعية التوحيدية أو التزيهية بكونها تتجاوز العالم الطبيعي/المادي، لتؤوب إلى الإله الواحد الأحد، المهيمن على الطبيعة والتاريخ والإنسان، فهي قائمة على ثنائية الخالق والمخلوق. وعلى خلاف الإنسان الطبيعي/المادي في المرجعية التطبيعية، فإن الإنسان في المرجعية التوحيدية مخلوق كرمه الله واستخلفه في الكون، ويتميز عن الطبيعة بالإرادة والتعقل، إن المسافة بين الله تعالى وبين الإنسان، هي نفسها تضمن وجود فاصل بين الإنسان والطبيعة، إن إنسانية الإنسان وجوهره الإنساني مرتبط تمام الارتباط بالعنصر الرباني فيه، فهو مقولة مستقلة عن عالم الطبيعة/المادة وينتمي إلى كل من العالم الرباني والعالم الطبيعي³⁰.

إلى هذه المرجعية التوحيدية ومنظورها للإنسان، انتهت رحلة المسيري الفكرية بعد جولات في رحاب النموذج المعرفي المادي، ويعترف الرجل بأن عملية انتقاله من المادية إلى الإنسانية والإيمان لم تكن مسألة هينة أو يسيرة، فقد صاحب هذا التحول تغير في الرؤية الدينية والفكرية، وتغير في فلسفة النهج وأدواته، يقول: "حينما نفقت المادية عن فكري أصبح من الصعب علي تقبل التصور القائل أن العقل الإنساني صفحة بيضاء تسجل الواقع في سلبية وبشكل مباشر، وكأن الإنسان مجرد شيء مادي بين الأشياء، وظهرت في حياتي ثلاثة موضوعات أساسية مترابطة مترامنة، حتى أكاد أقول إنها ثلاثة أوجه لعملة واحدة (إن صح التعبير) تعبر عن تحولي من النموذج المادي إلى النموذج الذي يفصل بين الإنسان والطبيعة/المادة. هذه الموضوعات هي: الانتقال من الموضوعية الفوتوغرافية (المتلقية والتوثيقية والمادية والمنفصلة عن القيمة) إلى الموضوعية الاجتهادية، ورفض العقل السلبي وتبني رؤية توليدية للعقل، وأخيرا رفض الرصد المباشر وتبني النموذج منهجا في التحليل"³¹.

إن الموضوعية الفوتوغرافية عند المسيري هي نموذج تحليلي ينطلق من أن المعرفة هي عملية تراكمية تتكون من النقاط أكبر قدر ممكن من التفاصيل، فهي موضوعية معلوماتية، تتصور أن المعرفة هي حشو المعلومات. والمشكل في هذه الرؤية عند المسيري أنها موضوعاتية وليست موضوعية، بمعنى أن الدارس يرصد التفاصيل والموضوعات ويسجلها، دون أن يربط بينها، ودون أن يميز فيها بين برز المركزي والهامشي. بل يعتبر أن هذا النهج معاد للفكر والإبداع، لأن العقل عنده مجرد آلة تسجيل، وليس طاقة إنسانية مبدعة تعيد صياغة العالم. عقل لا يكثرث بالحق والحقيقة، بقدر ما يهتم بالتفاصيل والمعلومات والجزئيات، وكأنه كم لا هوية له، ولا تاريخ له³². هذا النهج طبقه المسيري في مجال تخصصه، وهو النقد الأدبي، لأن "العملية النقدية في جوهرها هي عملية استنطاق، فالناقد يقول ما يقول من خلال النص، الذي يكشف عن سره بمقدار ما يستنتقه الناقد، فالنقد الأدبي هو النقطة التي تلتقي فيها الذات (الناقد) بالنص (الموضوع النقدي). وأن البحث عن المعنى الوحيد للنص هو بحث لا طائل من ورائه، وأن تصور النص مجرد موضوع يمكن للمرء التقاطه وفك سره (وكانه شيء محدد) هو تصور مضلل للغاية"³³.

إن رفض المسيري للموضوعية الفوتوغرافية انتهى به إلى تبني نموذج معرفي وتحليلي جديد للعقل، بوصفه كيانا توليديا، وليس مجرد وعاء مادي متلق للمعلومات. وفكرة العقل التوليدي فكرة أساسية في المنظومة المعرفية الإسلامية، وكذلك في منظومات فكرية غربية

30- سعيد خالد الحسن: *مدخل تمهيدي لدراسة نظرية القيم السياسية* (نسق المدركات السياسية الجماعية). ص 46.

31- عبد الوهاب المسيري: *رحلي الفكرية*. ص 310.

32- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 333.

33- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 335.

مثل الشعر الرومانتيكي، وكذلك فلسفة إيمانويل كانط وليفي ستراوس، وأعمال نعوم تشومسكي وجون بياجييه. لأن كل إنسان ثوري لا يمكن إلا أن يكون مؤمنا بالعقل التوليدي القادر على تجاوز الواقع المادي القائم³⁴.

لماذا؟ لأن الإنسان — يقول المسيري — لا يدرك واقعه بشكل حسي مادي مباشر، بل يدرك الواقع في تركيبته، من خلال ما يسقطه هو على هذا الواقع من أفراح وأتراح، ورموز وذكريات. ولهذا فعقله ليس مجرد صفحة بيضاء تسجل المعلومات وتخزنها مثل أية آلة، وإنما هو عقل ذو مقدرة توليدية، وهو مستقر منظومات رمزية وفكرية وأخلاقية. ولذلك فهو لا يستجيب للواقع المادي مباشرة، وإنما يستجيب له من خلال إدراكه له. بمعنى أنه لا يمكن تفسير أي ظاهرة إنسانية بردها إلى عامل واحد، وإنما لابد من الغوص في أكثر مستويات التحليل عمقا، والكشف عما يسميه "الخريطة الإدراكية". وهي خريطة يحملها الإنسان في عقله ووجدانه، تحدد له ما يمكن أن يراه في الواقع المادي، لأنها تستبعد وتهمش معلومات، وتؤكد على أخرى فتجعلها مهمة ومركزية³⁵.

إن رفض المسيري للموضوعية الفوتوغرافية وفكرة العقل السليبي، والذي حصل بسبب التطور في رؤيته للعقل الإنساني وعلاقته بالواقع المادي، ومن ثم إدراكه للفلسفة الكامنة وراء المنهج، واكبه تحول في المنهج وأدواته، حيث اتجه نحو البحث عن أدوات تحليلية تمكنه من الرؤية الكلية للأشياء والظواهر، والربط بين التفاصيل والجزئيات، وتحيط بتركيبة الظاهرة الإنسانية. هذا البحث انتهى به إلى "النماذج التحليلية".

إن النماذج التحليلية عند المسيري توصل إليها بعد رحلة شاقة في الزمان والمكان، وعبر قراءات في المنظومات الفكرية الغربية، من بنيوية، وأعمال ماكس فير، ونظريات النقد الأدبي، حتى استقر به المقام في الخلاصة التي تعتبر أن النموذج هو: "بنية تصويرية أو خريطة معرفية يجردها عقل الإنسان (بشكل واع أو غير واع) من كم هائل من العلاقات والتفاصيل والحقائق (الموضوعية)، فهو يستبعد بعضها بحسبانها غير دالة (من وجهة نظره)، ويستبقي البعض الآخر، ثم يربط بينها وينسقها تنسيقا خاصا، ويجرد منها نمطا عاما"³⁶.

ويرى المسيري أن استخدام النماذج مسألة حتمية، فهي تدخل في صميم عملية الإدراك، لأن الإنسان لا يدرك الواقع بشكل مباشر، ولكن من خلال نموذج أو نماذج إدراكية يستبطنها المرء تدريجيا، وتصبح جزء من وجدانه وسليقته، بل وتفاصيل حياته وما يتعامل معه من منتجات حضارية. لكن النموذج كأداة تحليلية يكاد يكون خاليا من الزمان، فهو يتجاوز أحداث التاريخ إلى النمط المتواتر الكامن فيها والذي يجمع بينها ويعطيها معنى.

1- القيمة الجماعية العليا: التوحيد

على إثر التحول من المادية إلى رحابة الإيمان، كان أول ما قام به المسيري هو إعادة الإنسانية إلى الإنسان، ووفق المنطلقات الجديدة، أصبح الإنسان يُعرّف بأنه كائن صاحب إرادة حرة برغم الحدود الطبيعية والتاريخية التي تحده. وأنه كائن واع بذاته وبالكون حوله. يستطيع تجاوز ذاته الطبيعية/المادية. وهو أيضا عاقل ويمكنه استخدام عقله، ولذا فهو قادر على إعادة صياغة نفسه وبيئته، حسب رؤيته،

34- عبد الوهاب المسيري: *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. ص 338.

35- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 344.

36- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 360.

وتمتلك المقدرة على التفكير والتركيب عبر توظيف عقله التوليدي، وبالاتكاء إلى خريطته الإدراكية، وما تراكم عنده من خبرات وتجارب³⁷.

وهكذا، بعد أن كان الإنسان عبدا للمادة محكوما بقوانينها، صار كائنا يعيش في عالم الطبيعة/ المادة، ولكنه يحوي داخله عناصر غير طبيعية، فهو يتسم بثنائية الروح والمادة. تتنازع نزعان: نزعة العودة إلى الطبيعة/ المادة، ونزعة الإحساس بالاستقلال عنها وتجاوزها، أو ما أسماه المسيري بـ "النزعة الجنينية" في مقابل "النزعة الربانية"³⁸.

وانطلاقا من مفهوم "الطبيعة البشرية"، نحت المسيري مفهوم "الإنسانية المشتركة"، ووظفه في مقابل مفهوم "الإنسانية الواحدة"، هذه الأخيرة تفترض أن الناس كيان واحد، وإنسانية واحدة، خاضعة لبرنامج بيولوجي ووراثي عام، على عكس "الإنسانية المشتركة" التي تؤمن بأن ثمة إمكانية وطاقة إنسانية كامنة، لا يمكن رصدتها أو ردّها إلى قوانين مادية. يقول: "الإنسان هو أكرم المخلوقات في الكون، مختلف بشكل جوهري عن بقية الكائنات، حتى وإن شاركها بعض صفاتها فهو يعيش في الطبيعة لكن منفصل عنها"³⁹.

هذا التمايز بين الطبيعة والإنسان، دفع المسيري إلى تطوير مفهوم "المسافة" التي تفصل بين الإنسان والطبيعة، وبين الخالق والمخلوق، وبين الجسد والروح. مما يعني أن هناك ثنائية أساسية في الكون. وأن الكون متعدد ومتنوع، فيه المطلق وفيه النسبي، فيه الثابت وفيه المتحول. هذا بخلاف الواحدة المادية التي تذهب إلى أن العالم بأسره (الإنسان والطبيعة) جوهر واحد.

لقد صار العالم بالنسبة للمسيري يتسم بـ "الثنائية الفضفاضة"، وهو مصطلح يقابل "الواحدة". والثنائية هي الإيمان بوجود أكثر من جوهر في العالم. والثنائية الأساسية في النظم التوحيدية هي ثنائية الخالق، المتزه عن الإنسان والطبيعة والتاريخ، والمخلوق المستهدي بآيات الله في الكتاب المسطور والكون المنظور. وينتج عن هذه الثنائية ظهور الحيز الإنساني الذي يتحرك فيه الإنسان بحرية ومسؤولية. وينتج عنها ثنائيات تكاملية عدة أهمها ثنائية الإنسان والطبيعة، والتي تفترض انفصال الإنسان عن الطبيعة وأسبقيته عليها، واستحالة رده إليها، وتفسيره في إطارها، لأن الإله خلقه وكرمه واستخلفه في الأرض. إنه "الإنسان الرباني"، كائن لا يعلمه في كليته إلا الله الذي نفخ فيه من روحه⁴⁰.

إن وجود الله هو الضامن الوحيد لوجود الإنسان الرباني، فالله هو النقطة التي يتطلع إليها الإنسان، ويحقق التجاوز من خلالها. وبإنكاره يتحول العالم إلى مادة صماء. الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، هو نقطة الفصل الرئيسية بين النموذج المعرفي المادي، والنموذج المعرفي الرباني. وهو الذي يعطي المعنى كمرجعية نهائية عليا لكل الظواهر الطبيعية والإنسانية.

2- القيمة الفردية العليا: التراحم

37- عبد الوهاب المسيري: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار. ص 300.

38- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 381.

39- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 177.

40- عبد الوهاب المسيري. المرجع السابق. ص 178.

تميز قيمة التراحم المجتمعي التقليدي أساساً، مثل المجتمع الديمقراطي حيث ولد وترعرع المسيحي، وتحكم هاته القيمة العلاقات بين الأفراد والأسر والعائلات الممتدة، فهي علاقات غير مبنية على اللذة والمنفعة وحدها، بل على حسابات أخرى غير مادية مثل الهدية مثلاً، إن الهدية تكاد تعكس هوية مجتمع بأكمله، مجتمع يقوم على التضامن والمساواة بين أفراد، وعلى كسر الفروقات الاجتماعية بين الغني والفقير، حيث ركن الزكاة مثلاً يعتبره الفقراء حقاً لهم، وليس واجباً على الأثرياء فقط. والتراحم كقيمة فردية عليها هي ضد التعاقد الذي يقوم على مبدأ التنافس والصراع. بل تقوم على قيم المحبة والعلاقات الإنسانية المتضامنة، والتراحم يعلي من أهمية الإنسان وقيمه في الكون، ككائن حر ونبيل، ذي عاطفة حيّة وجياشة من حقه التعبير عنها⁴¹.

ولقيمة التراحم في المجتمع التقليدي قيم أخرى تعبر عنها مثل قيمة التدوير، بمعنى إعادة توظيف كل الأشياء في المجتمع وتبادلها، مما يحقق التضامن بين أفراد. والتدوير يركز إلى أن النعمة هي رزق من الله تعالى، والنعمة وفق العقيدة الإسلامية لا ينبغي تبذيرها أو تبديدها، لأن التبديد ضد البيئة والطبيعة والإنسان. إن الروح التراحمية تعطي الإنسان معنى لوجوده وغاية لأفعاله وحركته، وهو ما يمكنه من الاستقلال عن الطبيعة، وتحفظ له تميزه عن المادة والأشياء، وتعيد له توازنه واستلاءه الإيماني بدل الانجرار وراء التراكم الرأسمالي⁴².

غير أنه لا يمكن القول أن المجتمعات العربية والإسلامية هي مجتمعات تراحمية خالصة، ذلك أن نموذج التعاقد والصراع بدأ يزحف نحو هذه المجتمعات، إذ أن المجتمع التراحمي في العادة هو مجتمع وحداته الاجتماعية صغيرة، تتيح التعارف والتعاون بين أفراد، لذا يوجد خارج إدارة الدولة، ويدار بواسطة مؤسسات وسيطة مثل شيخ القبيلة أو كبير العائلة، والعلاقات بين أفراد غير محددة المعالم، فكل شخص يعرف الآخر ويتعامل معه على أساس المعرفة الشخصية وليس على أساس عقد مبرم⁴³.

والمجتمع التقليدي التراحمي هو مجتمع للكبار، حتى الأطفال فيه هم رجال لم يكتمل نموهم بعد، والقضية عنده هي كيف يجعل من هؤلاء رجالاً، حتى دون أي احترام لخصوصيتهم، وفي هذا المجتمع نفسه ليس هناك فهم دقيق لخصوصية وفردية العلاقات الإنسانية المباشرة بين الأصدقاء، أو بين الزوج وزوجته، فالوحدة التحليلية هي المجتمع. وتظل هي المجتمع في كل المناسبات والمستويات⁴⁴.

وتتميز منظومة القيم في المجتمع التقليدي بكونها توزع بشكل دقيق الواجبات والحقوق، بطريقة يؤدي الدين والعرف فيها دوراً أساسياً، ويعد النشاط الاقتصادي نشاطاً واحداً ضمن أنشطة إنسانية أخرى، لا يتمتع فيها بالصدارة أو المركزية. وحين تسود قيمة التعاقد والصفقات في مجتمع تقليدي مثل دمنهور، فإن قيمة التراحم تتدخل لتؤطر الصراع وتهدبه، وتصبح أسبقية الأخلاقي على الاقتصادي حقيقة مؤكدة، فعملية البيع والشراء تخضع شكلاً للقانون وإجراءاته، لكن تبقى "كلمة الشرف" هي الأساس، بل هي المرجعية النهائية في عالم التجارة والاقتصاد مثلاً⁴⁵.

خاتمة

41- عبد الوهاب المسيحي: *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار*. ص 62.

42- عبد الوهاب المسيحي. المرجع السابق. ص 64.

43- عبد الوهاب المسيحي. المرجع السابق. ص 73.

44- عبد الوهاب المسيحي. المرجع السابق. ص 74.

45- عبد الوهاب المسيحي. المرجع السابق. ص 77.

يعد المسيري بحق نموذجاً متفرداً في العالم العربي، ليس بمنظومته الفكرية التي امتدت إلى أكثر من مجال معرفي، وأسست لرؤية حضارية عميقة، تؤمن بالخصوصية لا للتفوق، بل لتبدع وتنطلق إلى آفاق "الإنسانية المشتركة"، حيث تعدد أبعاد البناء الحضاري، وتركيبته مثل الإنسان تماماً، لأن في مقابل ذلك تبسيط واختزال للوجود، وتنميط للظواهر والأشياء، وتعميم النموذج الواحد. بل هو متفرد كمفكر رسالي، لا تنفصل عنده المعرفة عن الخبرة، والنظر عن العمل، يجتهد دوماً لتوليد الجديد معرفياً وعملياً.

غير أن مما يثير الانتباه من خلال هذه المقالة التي حاولت استكشاف معالم مشروعه الفكري، من خلال نظام القيم السياسية، أن المسيري بذل جهداً كبيراً في هدم وتفكيك النموذج المعرفي المادي الطبيعي، بكل تحليلاته في الوجود كتصورات فلسفية، وكظواهر اجتماعية وإنسانية، مثل الصهيونية، والدولة، والنازية، والامبريالية، والجنس، وغيرها، فجاءت كتاباته مجددة، مبدعة، وأصيلة. لكن جهد المسيري في بناء نموذج معرفي إيماني كان أقل من ذلك، وإن حاول في مقالاته الشهيرة "معالم الخطاب الإسلامي الجديد" أن يربط بين مشروعه الفكري ومشاريع مفكرين إسلاميين آخرين، أمثال طارق البشري، ومنير شفيق، ومحمد عمارة، ويوسف القرضاوي، وراشد الغنوشي، وغيرهم العشرات، فإن مشروع المسيري فيما يخص بناء نموذج معرفي إسلامي لا زال يحتاج إلى مزيد من البناء، وتوسيع دائرته إلى علوم اجتماعية أخرى، وهي مهمة الأجيال الصاعدة واللاحقة.

إن الوعي بهذه الحقيقة يجب أن لا ينسينا أن المسيري وإن برع في تفكيك نموذج معرفي قائم، وفي العمق تفكيك نموذج حضاري مهيم، بالنظر في الخلفيات المعرفية والفلسفية القائمة وراءه، فإن عملية البناء ليست بالأمر السهل، خاصة وأن المسيري يبقى عالم اجتماع المعرفة بالدرجة الأولى، بما يعنيه ذلك من محدودية في التوغل إلى عمق الظواهر السياسية والاقتصادية مثلاً. إن المشروع الذي دشّن أسسه أستاذنا سعيد خالد الحسن من خلال مقدمته "مدخل تمهيدي لدراسة نظرية القيم السياسية (نسق المدركات السياسية الجماعية)"، سيملاً بحق الثغرة في المجال السياسي، والأمل معقود على أنت يتصدى آخرون إلى سدّ الثغرة الثانية في المجال الاقتصادي.

المراجع المعتمدة

- 1- سعيد خالد الحسن. مدخل تمهيدي لدراسة نظرية القيم السياسية (نسق المدركات السياسية الجماعية). كتاب غير منشور، الرباط، 2010.
- 2- عبد الوهاب المسيري. رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمار. دار الشروق، القاهرة، ط1، 2005.
- 3- عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. ج1، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002.
- 4- عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. ج2. دار الشروق، القاهرة، ط1، 2002.
- 5- عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة. العلمانية تحت المجهر. دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.
- 6- عبد الوهاب المسيري. العالم من منظور غربي. سلسلة دار الهلال، ع 602، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2001.
- 7- عبد الوهاب المسيري. فكر الاستنارة وتناقضاته. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998.